حوليات آداب عين شمس المجلد ٥٠ (عدد يناير – مارس ٢٠٢٢)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

دراسة في العنوان عند إبراهيم الحميدان

ندى بنت صالح بن علي أبا الخيل*

أستاذ مساعد في الأدب العربي الحديث/ وكيلة كلية المجتمع/ بحريملاء/ جامعة شقراء /المملكة العربية السعودية/ الرياض
alidyabdesigner@gmail.com

المستخلص

اعتنى هذا البحث بدراسة العنوان عند الأديب السعودي/ إبراهيم الحميدان من خلال مجموعته القصصية، وتعدّ هذه الدراسة إضافة بحثية في مجال دراسات العنوان للنصوص الأدبية النثرية.

لقد سلّطتُ الضوء في هذا البحث على تعريف العنوان، وأنواع العنوانات ووظائفها وكيفية اختيار العنوان ومدى ترابطه مع المتن.

وقد تنوّعت لبنات هذ البحث ففيه عرضْتُ للعنوان من حيث: التركيب والصياغة، والدلالة، والتطوير والتجديد، والمألوف وغير المألوف، والتعالق بين العنوان والمتن، والتجلي التراثي في العنوان، ثم أظهرَتْ الدراسة طبيعة العنوان عند إبراهيم الحميدان ووظائفه وجماليته.

الكلمات المفتاحية:

القصة القصيرة- العنوان- إبراهيم الحميدان.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب - جامعة عين شمس ٢٠٢٢.

مقدمة

الحمد لله حمد الشاكرين - اللهم لك الثناء كله - والصلاة والسلام على رسول الله – محمد - وعلى آله وصحبه أجمعين.. وبعد:

عند الوقوف أمام النتاج العربي السعودي - ذلك النتاج الوافر الزاخر-؛ نجد أن هذا النتاج لا يزال بحاجة إلى الأوفياء من أبناء هذا البلد الكريم؛ لدراسته ونقده وتحليله، كما أنه بحاجة إلى دراسة أدبائه؛ من كتّاب، وشعراء، ومفكرين.

ولعلّ تلك الدراسة تأتي ملبية لنداءات كثير من دارسي الأدب ومحلليه؛ حيث إن كثيراً من الباحثين والدارسين ينادون بضرورة إعطاء هذا الأدب حقه من الدرس والبحث والتحليل.

وقد وقع اختياري في تلك الدراسة على القصص القصيرة عند الأديب السعودي- إبراهيم الحميدان- وذلك لعدة أسباب؛ أوجزها فيما يلي:

١- إبراهيم الحميدان أديب سعودي من أبناء هذا البلد، عاش فترات حياته فيه، متنقلاً في جنباته، عاشقاً لترابه، وفيّا لأبنائه.

٢- الحميدان أديب يكتب من أرض الواقع، لا يعيش في أبراج عاجية بعيدة عن هموم وطنه ومواطنيه.

٣- الأديب – الحميدان- لا يكتب لذاته، بل يؤثر أن يكتب لأبناء وبنات مجتمعه ناصحاً وموجهاً وعاتباً – في بعض الأحيان - كل ذلك بأسلوب بسيط محبّب.

٤- لم ينل هذا الأديب حقه من الدراسة رغم ما تزخر به كتاباته من الفن والأسلوب البديع.

٥- لا تزال الدراسات العنوانية في الأدب السعودي ضئيلة إذا ما قورنت بهذا الكم الهائل من النتاج الأدبي شعرًا ونثرًا.

وقد اتبعتُ في هذه الدراسة المنهج التكاملي الذي يخدمها، متنقلة بين الوصف – حينًا - وأداة الوصف والتحليل – حينًا آخر-، في الوقت الذي لم استغن فيه عن المنهجين التأريخي والاجتماعي – متى استدع الأمر ذلك -كما كان المنهج الانتقائي حاضراً في العنوانات والنصوص التي قمتُ بعرضها، ودراستها وتحليلها.

وقد تألفت هذه الدراسة من فصلين، سبقهما تمهيد ومقدمة، وكل فصل ضمّ مبحثين، ثم اتبعت ذلك بالخاتمة، وفهارس المصادر والمراجع والموضوعات.

ثم إني أتوجه بالشكر لله – تعالى- على ما منّ به عليّ من إتمام هذا البحث، وصلى الله وسلم على خير البرية محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين.

تمهيد

أولًا: اسمه ومولده وأعماله الوظيفية:

هو إبراهيم الناصر الحميدان، أديب سعودي وقاص، له باع طويل في كتابة القصة، وتحديداً القصة القصيرة.

وُلد الحميدان في "مدينة الرياض عام ١٣٤٩هـ، وحصل على الشهادة الابتدائية من بلدة (الزبير) في جنوب العراق عام ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م.

وقد عمل في شركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو) بالظهران، وبشركة مد الأنابيب (التابلاين)، ثم التحق بعدة وظائف حكومية، كان آخرها سكرتارية في وزارة التجارة والصناعة، وفي نهاية عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م ترك العمل الحكومي، والتحق للعمل في بنك الرياض في مدينة الرياض[١]".

ثانيًا: وفاته:

شاء الله - عز وجلّ – أن يودّع هذا الأديب دار الفناء إلى دار البقاء، في يوم الجمعة بتاريخ: ٢٦-٤-١٤٣٤هـ، الموافق: ٨-٣-٢٠١٣م، مخلفًا نتاجًا أدبيًا وافرًا.

ثالثًا: مؤلفاته:

خلف الأديب إبراهيم الحميدان نتاجًا قصصيًا وروائيًا، صوّر من خلاله جوانب متعددة من طبيعة الحياة في عصره، كما كشف لنا عن الكثير من العادات والتقاليد المجتمعية آنذاك.

فما أن يتجول القارئ بين قصصه ورواياته إلا ويرى أمامه تصويرًا (فوتو جرافيا) لتلك الحياة البسيطة غير المتكلفة للمجتمع السعودي.

بل إن الكاتب ينقل القارئ في كثير من الأحيان إلى دهاليز الحياة الخاصة، فيُشعر القارئ وكأنه أمام مقطع تمثيلي حي يراه أمامه، وما هذا إلا لما يمتلكه الحميدان من براعة التصوير، والقدرة على الإيحاء وسبك العبارة المناسبة للموقف.

وما من شك في أن اهتمام الأديب - الحميدان- بالمجال الروائي والقصصي سيجعل جل كتبه في هذا الجانب من الرواية والقصّ. وكتب الأديب التي أثرى بها المكتبات السعودية كالآتي:

١- أمهاتنا والنضال (مجموعة قصصية) طُبعت عام ١٣٨٠هـ.
٢- ثقب في رداء الليل (رواية) طُبعت عام ١٣٨١هـ، ثم طُبعت مرة أخرى عام ١٩٩٣م.
٣- أرض بلا مطر (مجموعة قصصية) طُبعت طبعتها الأولى عام ١٣٨٥هـ، ثم أُعيدت طباعته عام ١٤٢٢هـ.
٤- سفينة الموتى (رواية) طُبعت طبعته الأولى عام ١٣٨٩هـ، ثم أُعيدتْ طباعته تحت مسمى: سفينة الضياع عام ١٤٠٩هـ.
٥- غدير البنات (مجموعة قصصية) طُبعت طبعتها الأولى عام ١٣٩٧هـ، ثم طُبعت طبعتها الثانية عام ١٤٢٣هـ.
٦- عذراء المنفى (رواية) طُبعت عام ١٣٩٨هـ.
٧- غيوم الخريف (رواية) طُبعتْ عام ١٤٠٨هـ.
٨- عيون القطط (مجموعة قصصية) طُبعت عام ١٤١٤هـ.
٩- رعشة الظلّ (رواية) طُبعتْ عام ١٤١٤هـ.
١٠- نجمتان للمساء (مجموعة قصصية) طُبعتْ عام ١٤١٩هـ.
١١- دم البراءة (رواية) طُبعتْ عام ١٤٢١هـ.
١٢- الغجرية والثعبان (رواية) طُبعتْ عام ١٤٢١هـ.
١٣- العذراء العاشقة (مجموعة قصصية) طُبعتْ عام ١٤٢٣هـ.
١٤- حيطان الريح (رواية) طُبعتْ عام ١٤٢٥هـ.
١٥- شظايا الذاكرة (سيرة ذاتية)، طُبعتْ باسم (غربة المكان) في القاهرة عام ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، دار السمطي.

وهي في مجموعها مؤلفات في النثر الأدبي، تكشف عن جوانب متعددة في شخصية الأديب، لا سيما وأن أسلوبه الكتابي سهل يهمس في أذن قارئه، بلا تكلف أو رمزية أو ضبابية تذهب بالمعنى الذي يرمي إليه.

وقد جُمعتْ مجموعات الكاتب القصصية في (مجلد الأعمال القصصية الكاملة)[١]؛ حيث ضُمتْ فيه أعماله التالية:

١- أمهاتنا والنضال.
٢- عيون القطط.
٣- أرض بلا مطر.
٤- نجمتان للمساء.
٥- غدير البنات.
٦- العذراء العاشقة.

الفصل الأول
المبحث الأول: العنوان

أولًا: العنوان لغة:

ذكر ابن منظور في لسان العرب أن العنوان سُمي عنوانًا لأنه" يَعُنُّ الكتاب من ناحيتيه، وأصله (عُنَّانٌ)، فلما كثرت النونات قُلبتْ إحداهن واوًا، ومن قال: عُلْوان الكتاب، جعل النون لامًا؛ لأنها أخف وأظهر من النون.

ويقال للرجل الذي يعرّض ولا يصرح: قد جعل كذا وكذا عنوانًا لحاجته[١]".

فلذلك يُقال: "عَنَّ الكتاب وعَنَّنَه وعَنْونَهُ وعَنَّاه: كتب عُنوانَه[٢]".

فكل ظاهر يدل على غيره هو عنوان، وهكذا بدأ استخدام هذه اللفظة عند العرب.

ثانيًا: العنوان اصطلاحًا:

لو ربطنا العنوان بالعمل الأدبي، لوجدنا أن العنوان هو أول ما يتصدر العمل الأدبي، فله موضع السمو والصدارة، وكما قال صاحب كتاب (العنوان في الأدب العربي النشأة والتطور)، بأنَّ عنوان الشيء يعد: "سمة هذا الشيء ومعناه ومقصده"[٣].

فالدلالة الاصطلاحية للعنوان - على ذلك - هي: "سمة الكتاب أو النص، ووسم له، وعلامة عليه وله[١]".

فالعنوان أول عتبات النص وأهمها، وهو أول ما يقع عليه نظر القارئ.

ثالثًا: أنواع العنوانات:

لا شك أن الكاتب مطالب بالإلمام بأنواع العنوانات، فعندما يقف عند اختيار عنوان لنصه، فهو يقف أمام تحدٍ صعب، فليس العنوان أداة أو عتبة يسهل اختيارها، فالكاتب – غالبًا- ما يقع في حيرة من أمره عند مجرد تفكيره بعنوان للنص الذي كتبه، وسكب فيه جلّ أفكاره؛ حيث تدور في ذهنه عدة تساؤلات: ما نوع العنوان المناسب؟ أيّ العنوانات ستجذب القارئ للقراءة؟ وأيّها سيكشف عن طبيعة النص؟ وأي الألفاظ تناسب لصياغة العنوان؟ ... وغيرها من التساؤلات التي لا يجيد الإجابة عليها إلا حاذق في اختيار العنوان، مدرك لأهميته بين عتبات النص.

وهنا سأعرض بشكل سريع لأهمّ وأبرز أنواع العنوانات في النثر العربي السعودي:

١- العنوان الاسمي:

يحظى هذا النوع بنصيب الأسد بين أنواع العنوانات الأخرى، ولعل طبيعة تركيبه وصياغته، تجعل منه الأنسب للفنون النثرية، بكافة أنواعها تقريبًا.

وهو العنوان الذي يتكون من اسم أو اسم واسم أو اسم ومتعلق بهذا الاسم، ولعلّ معظم الكتّاب في المملكة العربية السعودية حين يختارون عنواناتهم يميلون لهذا النوع من العنونة.

وهذا اتضح جليّا من خلال مسح قمت به على مجموعة لا بأس بها من الفنون النثرية في المملكة العربية السعودية.

إذ إنّ من أهم ما يميز هذا النوع من العنوانات: سهولته، ووضوحه، وبعده عن التعمية.

٢- العنوان الإنشائي:

وهو كل عنوان يحمل معنى الإنشائية، التي لا تحتمل معنى التصديق أو التكذيب؛ كالجمل الدعائية، والاستفهامية، وعبارات التمني والرجاء، والأمر والنهي والنداء.

وإن كان العنوان الإنشائي يجذب القراء- غالبا - إلا أنه يعتمد كثيرًا على مدى نجاح الكاتب في اقتناص الكلمات التي يصوغ فيها هذا النوع من العنوانات.

٣- العنوان الرمزي:

ويقصد به العنوان البعيد عن التصريح، القائم على الإيحائية والتلميح، وهذا النوع من العنوانات يعتمد في نجاحه على ذكاء الكاتب، ودقته في الربط بين دلالات اللغة؛ ففيه يكتفي الأديب بالرمز عوضًا عن التسمية المباشرة؛ وذلك لغرض في ذاته.

فـ"العنوان الرمز: هو العنوان الذي استخدم رمزًا من منشئه، والمبدع إذ يستدعي الرمز فهو إنما يستدعيه لأمرين؛ هما:

١- لالتصاقه بجو الإبداع هذه الأيام؛ فنحن نعيش في الرمز ونتعايش معه كل حين.

٢- لتماسه مع القناع، أو المرايا، أو الخطاب؛ فإذا كانت تلك هي التكنيكات، فالرمز هو الأداة التي تصقل كل تلك التكنيكات[١]".

ولكن يظل العنوان الرمزي - في النثر السعودي- عنوانًا ليس طاغيًا على النصوص النثرية القصصية.

٤- العنوان التأملي:

ويقوم بناء هذا العنوان على أساس من التعبير والكشف عن المشاعر والأحاسيس، وكثرة الوقوف على الماضي، واسترجاع ذكرياته وحنينه.

ويكشف هذا النوع من العنوانات عن الجوانب النفسية والرومنسية للكاتب، فمن خلاله يستطيع المتلقي تصوّر الحالة الانفعالية للكاتب، وربما استطاع الكشف عن بعض من أسبارها.

ولعلّ التطورات السريعة المتلاحقة التي عاشتها البلاد السعودية، جعلتْ من ظهور هذا النوع من العنوانات واردًا - وبخاصة- في عنونة القصص القصيرة.

٥- العنوان التصويري:

وهو العنوان الذي يحمل صورة فنية معبّرة عن النص، وهذا النوع من العنوانات يمتاز بالحركة والمتعة وإثارة خيال المتلقي، وهو العنوان الأكثر جاذبية وتشويقا للقراء.

ويعد هذا النوع من العنوانات الأقرب لطبيعة الأدب الحية، التي تلامس ميول القراء، وتستثير خيالاتهم.

والأديب يحتاج عند صياغة هذا النوع من العنوانات إلى التقاط (فوتوغرافي) دقيق؛ كي ينجح في نقل الصورة إلى خيال القارئ؛ لذا يعد هذا النوع من العنوانات كاشفًا لطبيعة وماهية العمل الأدبي، وما سيتناوله النص من أفكار.

٦- العنوان البديعي:

ويقوم هذا النوع من العنوانات في أساسه على الامتياح من فنون البديع؛ الطباق، المقابلة والسجع ... وغيرها.

وما من شكّ في أن الأديب الذي يبدع في بناء هذا النوع من العنوانات، هو أديب لغوي، وواسع الثقافة والاطلاع.

هذا عرض سريع لأهم وأبرز أنواع العنوانات في الأدب السعودي، وإلا هناك أنواع أخرى من العناوين التي لم يتم التعرض لها رغبة في الاختصار وعدم الإطالة.

المبحث الثاني:

١- وظائف العنوانات:

لقد أصبح كل من الكاتب والمتلقي على علم بأهمية العنوان، فهو لم يعد مجرد كلمات ترص، بل أصبح إيحاء ونصًا يحمل القارئ إلى أجواء النص، فهو بمنزلة الرأس من الجسد.

وإن عرّف البعض العنوان بأنه: "مقطع لغوي، أقلّ من الجملة، نصًّا أو عملًا فنيًا[١]"، إلا أنه يؤدي العديد من الوظائف التي تخدم النص والقارئ على حد سواء.

ومن أبرز تلك الوظائف التي يؤديها العنوان، ما يلي:

أ- العنوان واجهة النص، وأول مؤشر حواري مع القارئ؛ إما أن يشوقه ويشدّ على يده لقراءة النص والغوص في أسراره، أو ينفره منه.

ب- لا شكّ أن العنوان يقوم بعملية المقاربة بن النص وقارئه؛ فالكاتب الحصيف هو الذي يدرك كيف تبنى هذه المقاربة؛ فبعد النجاح في تقريب النص من القارئ يكون ميله له وانجذابه إليه.

ج- يكشف العنوان في بعض النصوص الأدبية عن الشخصية الرئيسة في العمل الأدبي، أو يفصح عن المكان، وهذه أمور تهم القارئ ويتطلّع دائمًا إلى معرفتها، كما هو الحال في بعض القصص أو الروايات.

د- العنوان يكون جامدًا عندما يكون مرجعيًا إحاليًا فحسب؛ لأنه سَيُمِيتُ النص ويجمده، "بل إنّ من واجب النص أن يخفي أكثر مما يظهر، وأن يسكت أكثر مما يصرّح؛ ليعمل أفق المتلقي على استحضار الغائب أو المسكوت عنه، أو الثاوي تحت النص[١]".

فتلك أبرز الوظائف التي يعوّل على العنوان في أدائها؛ لذا لا بدّ من مراعاتها عند بناء العناوين.

ولا يفوت الباحثة أن تذكر أن الدراسات السيميائية الحديثة تولي الأهمية الوظيفية للعنوان؛ لذا أولته كثيرا من عنايتها واهتمامها، حيث إن العنوان له أبعاد دلالية تغري الباحث لتتبعها ومحاولة فك شفراتها الرامزة.

٢- اختيار العنوان:

وتأتي هذه الخطوة كأهم خطوة يخطوها الأديب في نصّه الشعري أو النثري، فمن الأدباء من يجرّه العنوان إلى كتابة النص، ومنهم مَن يعرّج على كتابة العنوان بعد كتابة النص؛ لينظر: أي العنوانات يناسب نصه؟

ومن أجمل العنوانات ما جمع بين البساطة والعفوية والقرب من التمام والكمال.

فالأدب هو بعد عن التأطير الذي يحدّ من حريّة الأديب، وإلا كان مادة علمية بحتة، تقوم على أسس ونظريات علمية تطبيقية، وهذا مالا نريده في الأدب.

ويظل اختيار العنوان عملية تتأثر بثلاثة أقطاب؛ وهي: طبيعة وميول الأديب، ونوع العمل الأدبي، ومضمونه.

وليس غريبا أن نجد من يبدع في صياغة العنوان، فيأتي العنوان جذابًا لعمل أدبي باهت، يشعر معه القارئ بخيبة أمل ونفور عن القراءة.

ويظل الكاتب الحصيف من ينتقي حروف عنونته ويجيد صياغتها وتنميقها أمام القارئ.

ولي لفتة صغيرة في هذا الجال، حيث يحسن بالأديب عند اختيار عنوانه أن يراعي طبيعة وثقافة وميل القراء؛ لأن القارئ هو المحور الأساس والمتلقي الأول لهذا العمل.

كما يحسن به أن يبتعد عن العنوانات الطويلة، أو ذات الجمل المركبة، فالنفس جُبلت على خير الكلام ما قلّ ودلّ، وخير العنوانات ما ألمح دون أن يكشف أو يفصح.

٣- ترابط العنوان بالمتن:

لعلّ من أسرار جذب القارئ – في بعض الأحيان - أن يكون العنوان بعيدا عن مضمون النص، ففي ذلك خروج عن المألوف، كما أنه شحذ لهمة القارئ لتتبع علاقة العنوان بالنص أثناء غوصه في أسباره.

وفيه كسر الروتين الذي تعود عليه القارئ كسر لروح الملل التي قد تنساب في النفس من جراء التكرار.

فعلى أيّة حال، ترى الباحثة أنه ليس من الضروري أن يكون العنوان كاشفًا عن النص أو عن أجزاء منه، فليس من حرج - في بعض الأحيان - أن يكون العنوان جذابًا وعفويًا، وليس له علاقة وطيدة بالمضمون.

وبما أن بعض النقاد شبه العنوان بالنسبة للنص كالمدخل بالنسبة للمنزل، فإنه يحسن أن يكون منمقًا ومستساغا لدى القارئ، وليس بالعنوان الصغير المخل، ولا الكبير الممل الكاشف.

أما بالنسبة لعلاقة العنوان بالمتن فمن القراء من يراها ضرورة ملحّة، ومنهم من يراها عنصرًا ثانويّا، ومنهم من يعطي الكاتب كافة الصلاحيات في كتابة عنوان عمله الأدبي، فهو بمثابة البنّاء الذي يعلم مكامن القوة والجذب في بناء العنوان.

هذا النوع من القراء لديهم ثقة بذوق واحترافية كاتبهم، فما يراه الكاتب مناسبا يرونه كذلك.

ولكن على الكاتب أن لا يغفل عن عنصر التنويع في بناء وصياغة العناوين؛ لكي يضع القارئ - دائمًا – في مكان المستكشف الذي يمضي وهو على وعي كامل بكل ما قد يفاجئه به الكاتب.

وبما أن النفس البشرية لا تحبّ السير على وتيرة واحدة، بل تحبّ التنويع والمفاجآت، فعلى الكاتب مراعاة ذلك في صياغة عنواناته.

فمن عنوان مختصر لمّاح رمزي، إلى طويل كاشف لبعض جوانب العمل الأدبي، إلى آخر أبعد ما يكون عن المتن.

فكم من عنوان لكتاب قاد لقراءة الكتاب كاملا، وكم من عنوان كان السبب في النفور حتى من تصفحه؟!

إلى هنا يمكن القول أن المتحكّم الأول لمدى علاقة العنوان بالمتن هو قناعات الأديب، وطبيعة المتن، ونمط القارئ .

وخير الكُتّاب من وُفق للصياغة الجيدة للعنوان، فهو بمنزلة الرأس من الجسد.

الفصل الثاني

المبحث الأول: دراسة العنوان

١- التركيب والصياغة:

لا شكّ أن طبيعة الأدب فضفاضة ومرنة، فالكتابة الأدبية ليست كالكتابة العلمية الأكاديمية البحتة، فللأديب أن يطلق العنان لخيالاته ومهاراته التصويرية والتجريدية.

ولكن مهما يكن من أمر، فإن الإبداع في تركيب العنوان يعدُّ بوابة لقراءة الإبداع داخل النص الأدبي.

ومن خلال قراءاتي لكثير من العناوين والمقطوعات الأدبية، وجدتُ أن هناك عددًا من المقومات التي يحسن بالأديب مراعاتها قدر الإمكان عند صياغته لعنوان نصه؛ وهي كالآتي:

أ- أن لا يكون العنوان بعيدًا كل البعد عن مضمون النص.

ب- أن يكون موجزًا ذا إلماحة دلالية لموضوعه.

ج- أن يكون متوسطًا؛ ليس بالقصير المخل، ولا الطويل الممل.

د- أن يكون جذابًا ومشوقًا، وكاشفًا عن موهبة الأديب وبراعة أسلوبه في تركيب عنوان النص.

هـ- أن يكون متزنًا، وليس مفرطًا في الغرابة أو الرمزية.

و- أن تتناسب حروفه وكلماته بسهولة وسلاسة.

٢- الدلالة:

دلالة العنوان جزء من تركيبه، وكما هو معلوم أنَّ "العنوان الجيد هو العنوان الذي يستطيع أن يكون أداة استدلال إلى مجاهيل النص[١]".

فما من عنوان في غالبية الأعمال الأدبية إلا ويجرّ خلفه – في الغالب- دلالة نصية من قريب أو بعيد.

وقد أصبح العنوان أكثر عمقًا؛ حيث صار "مكونًا نصيًا دالًا، ينطوي على أكثر من مدلول، فهو - كما يعرف القارئ المتخصص - ليس كلمة تُنشأ في الهواء وترمى هكذا، بل يُعْتبر الوسيلة الأولى لإثارة شهية القراءة[٢]".

فالعنوان بمثابة العلامة التفاعلية الأولى التي تقع عليها عين (المُسْتقبل)، وبوابة عبوره الأولى التي يدلف منها إلى النص أيًّا كان نوعه.

فالقارئ يدخل إلى النص عن طريق العنوان "متأولًا له، وموظفًا خلفيته المعرفية في استنطاق دواله الفقيرة عددًا وقواعد تركيب وسياق، وكثيرا ما كانت دلالية العمل هي ناتج تأويل عنوانه، أو يمكن اعتبارها كذلك دون إطلاق[٣]".

كلّ ذلك يؤكد الأهمية الدلالية للعنوان – في حال رغب الأديب - في الكشف عن مجاهيل النص أو جزء منها.

ولعلّ هذا ما حدا ببعض النقاد والدارسين إلى الاقتناع بأن العنوان هو (عمل نوعي) بحد ذاته، له أصوله التركيبية والدلالية مهما كان ضئيلًا في عدد حروفه أو كلماته.

فها هو أحدهم يؤكد ذلك بقوله: "إن الإنتاجية الدلالية للعنوان-على الرغم من ضآلة عدد علاماته، واشتغال قاعدة تركيب واحدة غالبًا في تنسيقها- تجعلنا نعدّه بمثابة عمل نوعي[١]".

فمتى وُفق الأديب في بناء وتركيب عنوانه، وُفق في شدّ وجذب قارئه.

٣- التطوير والتجديد:

إن وضع العنوان في صدارة النص الأدبي يجعل منه الهوية الرسمية له؛ من هنا كان لابد لتلك الهوية من مسايرة التطوّر والتجريب المقترن باستدعاء الموروث في بناء العنوان.

ولكي يكون العنوان جذّابًا لابد من التجديد فيه، ومسايرة ما يستحدث في تركيب العنوانات.

وذلك -ليس غريبا- فتلك هي طبيعة الأدب الفضفاضة المتبدّلة التي تعشق التغيير والتجديد.

والأديب الحصيف من يدرك ذلك جيدا ويعمل على إلباس عناوينه شيئًا جديدًا، ويبتعد به قليلًا عن المألوف، حتى لا تلحق به سمة خاصة في بناء عناوينه.

فمن الأدباء من لجأ إلى إدخال لغة أخرى في عنوانه، أو يطيل ويستطرد في بنائه، أو يلجأ إلى الغرابة أو البعد عن النص؛ فأيّا كان التجديد، لا يحسن بالكاتب غربلة القارئ وإيهامه بأن النص متعالق بالعنوان، في حين يكون بعيدًا وليس ذا صلة به؛ كي لا يفقد الكاتب ثقة قرائه ومتابعيه.

وإن كان هناك بعض الأدباء تتوشح عناوينهم بسمات خاصة لا تفارقها- في الغالب- ومع ذلك فعناوينهم موقّتة إلى حدّ كبير.

على كل حال التطوير في عتبات النص أمر مطلوب، إلا أن يأتي متكلفًا مقحمًا لا يقبله الذوق الأدبي الناقد.

٤- المألوف وغير المألوف:

إنّ العنوان المركب تركيبًا إنشائيًا ليس فيه خروج عن المألوف، بل إنه هو العنوان المعتاد في النصوص الأدبية غالبًا، ولكن الخروج عن ذلك إلى التراكيب الخبرية لعلّه خروج عن المألوف.

ففي الخبرية تأكيدات متعددة، تشعل الحماس والتطلّع في نفس المتلقي، من: مبتدأ وخبر أو فعل وفاعل ... وغيرها.

فالتركيب الخبري عدول عن روح الهدوء في العناوين الإنشائية، وهو انحراف بالتوقع، وكسر للمألوف يثير نوعًا من النمط الشاعري المتحرك.

إذًا، فلكي يقوم العنوان بوظيفته الإغرائية التي تجذب القارئ وتحرّضه على قراءة النص لا بد من صياغته صياغة شاعرية، تخرق المألوف، وتذهب بالقارئ إلى تأويلات متعدّدة غير منتهية.

٥- التعالق بين العنوان والمتن:

لا شكّ أن العنوان يحتلّ موقعًا ومكانًا استراتيجيًا بالنسبة للنص، فهو في مقدمة النص، مما يجعل تعالقه بالنص أمرا حتميًا ومسلمًا.

وبما أن العنونة بمثابة بطاقة الهويّة الخاصة بالنص والتي تحدّد المضمون وتغري القارئ بالمتابعة - كان التعالق بين العنوان والمتن ضرورة ملحّة، وحاجة بدهية في ذات القارئ، تحفّزه على التوقع، وتثير الرغبة لديه في القراءة، وتستحث تأويلاته للنص.

وترى الباحثة أن أغلب النصوص الأدبية - أيّا كانت قصة أم رواية أم مقالة أو غيرها - ما إن يشرع القارئ بالقراءة، إلا وتبدأ تتضح أمامه إضاءات دلالات العنوان، وهذا ما يحفز القارئ بل ويسعده.

هذا إضافة إلى التعالق الإيحائي الذي يحسّه القارئ عندما يمعن النظر في مفردة أو مفردات العنوان.

فإذا كان العنوان عنصرًا سيميائيًا يعلو النص، ويزيح الستار عن بعض جوانبه، ففي المقابل نجد أن النص يكشف عن كثير من دلالات العنوان، وهذه حقيقة التعالق بين العنوان ونصه.

فخلاصة القول: جميل أن تبقى العلاقة بين العنوان والنص علاقة وداد لمّاحة بعيدة عن الكشف الكامل والوضوح الفاضح للنص؛ لأن هذا ما لا يرغب به المتلقي.

٦- التجلي التراثي في العنوان:

الكاتب هو المسؤول الأول عن عتبات النص، وتقع عليه التبعة الأساس في جذب القارئ للنص واستثارة اهتمامه.

وبما أنّ هذه الدراسة تدور حول العنوان سيتم التطرق إلى علاقة التراث بالعنوان، وبخاصة أنّ التراث يعدّ ثروة كبيرة لا يمكن تجاهلها في الأدب ونصوصه.

فالتراث لا يقف عند نوع واحد، بل هناك التراث الديني، والتراث التاريخي، والتراث الشعبي، والتراث الأسطوري ... وغيرها.

وحين يمتاح الكاتب من أحد هذه الأنواع التراثية عنوانًا لنصه فهذه طبيعة في بني البشر، لا يستطيعون الفكاك عن ماضيهم، وعمّا خلّفه لهم الآباء والأجداد والأجيال السالِفة.

وتجلّي التراث في العناوين لدى الكتّاب يختلف من كاتب لآخر، بل إنه يختلف عند الكاتب ذاته حسبما تمليه عليه ذائقته الفنية، فمن الكُتّاب من يستدعي التراث في عناوينه بشكل مباشر وصريح، ومنهم مَن يأتي به عن طريق التلميح بعيدًا عن التصريح.

في حين يأتي به البعض بعيدًا عن التلميح والتصريح، بل إنه يُدرك إدراكًا تامًا ضرورة التقصي والتحليل وفهم المقصد، وهنا لابد للعنوان من قارئ حصيف مثقف، يعرف المقاصد ويدرك المرامي.

المبحث الثاني:

١- خصائص العنوان عند إبراهيم الحميدان:

عند القراءة في عنوانات القصص القصيرة التي كتبها الأديب إبراهيم الناصر الحميدان - يرحمه الله -، نلحظ عدة ملامح مهمة، يقتنصها الناقد الأدبي بمجرد إمعان النظر فيها؛ أبرز هذه الخصائص بما يلي:

أ- العنوان الاسمي:

أول سمة عنوانية عند الكاتب إبراهيم الحميدان هي ميله الواضح والجلي للعنونة الاسمية، وليس في ذلك غرابة حين نؤكد أنّ الاسم هو الأساس ومنه يؤخذ الفعل، والاسم أخفّ من الفعل، ويستطيع الاستغناء بذاته دون الحاجة إلى فاعل أو مفعول، مثل قولنا: الإسلامُ ديننا، وغيرها من الجمل الاسمية الخفيفة أداء وبناء.

فعند دراسة العنونة عند الأديب الحميدان وتحليلها وتصنيفها، يلاحظ أن السواد الأعظم منها عنوانات اسمية، وليس للعنونة الفعلية - الجمل الفعلية - نصيب يُذكر.

"وفي تصورنا أنه ما غلبت الاسمية على عنوان الشيء إلا لقوة الاسم وشدة تمكنه وخفته على الذوق العربي السليم[١]"، وتلك حقيقة يلمسها القارئ، فالاسم خفيف عذب رقيق في تركيبه.

حتى أنّ بعض دارسي الأدب جعلوا العنوان الاسمي الخاصية الأساس في بناء العنوانات عند الأدباء، " تعدّ (الاسمية) خاصية مميزة في بنية العنوان وجملته، حتى تكاد تكون الخاصية الأساس في العنونة[١]".

وأمام القارئ فيما يلي جدولة تحتوي على النسبة العددية للعنونة الاسمية الخاصة بالقصص القصيرة التي كان يكتبها الحميدان:

	العدد	النسبة
نسبة العنوان الاسمي	١٠٦	99%
نسبة العنوان الفعلي	١	1%
المجموع	١٠٧	100%

وأيضًا هذان رسمان بيانيان يكشفان عن مدى ميل الأديب - الحميدان- للعنونة الاسمية دون الفعلية:

أ- الرسم البياني الأول:

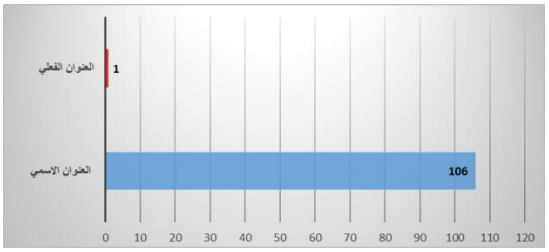

ب/ الرسم البياني الثاني:

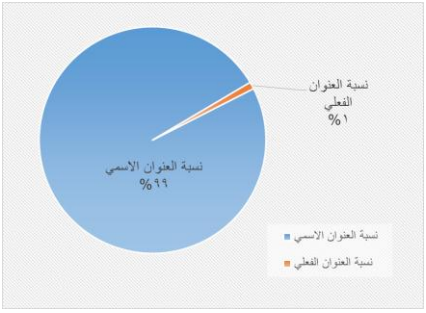

تلكم هي نسبة العنونة الاسمية لدى الكاتب - إبراهيم الحميدان- وما من شكّ في أن الأديب حين كتب تلك العنوانات الاسمية دفعته إلى ذلك مجموعة من الأسباب، سأوردها بعد ذكر أمثلة لتلك العنوانات الاسمية التي وضعها الكاتب ممثلة العتبات الأولى لنصوصه القصصية.

من العناوين الاسمية:

(ابتسامة)[١]، (الصديقة)[٢]، (شقاوة)[٣]، (ضحية الثأر)[٤]، (الرهان)[٥]، (شبح المجهول)[٦]، (الصدى)[٧]، (الأفعى)[٨]، (نجمتان للمساء)[٩]، (الغجرية)[١٠]، (العذراء العاشقة)[١١]، (أحلام العندليب)[١٢].

هذا بالنسبة لبعض العنوانات الاسمية، أما العنوان الفعلي الوحيد فهو:

(لا أريد سواها)[١٣] ، حيث ورد نفيا لجملة فعلية؛ فالقصة تحكي حُبّ مهوّس لعزة، وكيف سعى جاهدًا ليظفر بها، ثم يتفاجأ بأنها أُصيبتْ بالعمى، إلى أن يرضى بذلك.

ويعيشان عيشة يحقها الحُبّ والسعد، وفجأة وهي تجمع أعواد الأراك، تمرق من بين يديها أفعى أصابتها بالفزع الذي كان سببًا في عودة بصرها!

وإن كانت نهاية هذه القصة نهاية بسيطة تقليدية فيها شيء من الافتعال الواضح، الذي ربما أن يكون سببًا في اختيار الكاتب لهذا النوع من العنونة.

وتلك العنوانات الاسمية إما أن تكون اسما مفردًا أو مضافا ومضافًا إليه، أو جملة اسمية، أو اسمًا معطوفًا ومعطوفًا عليه، أو نعتًا ومنعوتًا – كما سبق .

ب- الإيجاز:

أما بالنسبة للسمة الثانية من سمات العنوان عند الأديب - الحميدان- فهي سمة الإيجاز؛ فالكاتب يميل ميلًا واضحًا للعنوانات الموجزة؛ فطبيعة القصة القصيرة ليست مجالًا للعنوانات الطويلة أو المتعددة التركيب.

ففي عناوين الأديب لا نجد الإطالة، حيث تتكون من كلمة أو كلمتين أو ثلاث، ولم يأتِ العنوان عند – الحميدان - في أربع كلمات إلا في سبع قصص قصيرة فقط؛ وهي:

١- (تجربة الموت والسفاحون)[١].
٢- (غبار السأم والمرابي)[٢].
٣- (الحنش لا يحرس الكنز)[٣].
٤- (اللصّ في قبضة الوهم)[٤].
٥- (غضب سنام على طميّة)[٥].
٦- (قطار العمر الذي تعطّل)[٦].
٧- (الصبي البائس والعدالة)[٧].

هذه هي العنوانات التي ركّبها الأديب من أربع كلمات، ولعلّ طبيعة القصة ومضمونها هما ما دفع الكاتب إلى اختيار هذه الموضوعات التي لا تعدّ قصيرة ولا ممتدة فوق المعتاد؛ فكثير من عنوانات القصص عند الحميدان جاءت في كلمة واحدة بدون إضافة أو تكرار.

ومثال ذلك: (قدر)[٨]، (الحورية)[٩]، (البكاء)[١٠]، ... الخ.

فهكذا تصبغ طبيعة العصر صبغتها على ميول الكُتّاب، فيتأثرون بها ويميلون إلى صياغة عناوينهم بكلمات وتراكيب قصيرة وسهلة تضيء بعضًا من جنبات النصّ.

ج- الوضوح:

ليس الحميدان ممن يعشقون التعمية، والضبابية أو الرمزية التي تتوه بالقارئ في متاهات ودهاليز تشغله عن لُباب النص وغايته.

من الموكد أن سمة الوضوح غالبة على عناوين الأديب الحميدان، كيف لا وهو من تبنى الجمال وطمح إليه في كتاباته؟! بل إنه وضع أمامه الحكمة والرويّة في إيصال فكرته إلى القارئ.

إن فئته المستهدفة هم القراء، وما دام أنّ هذه الأعمال كُتبتْ لهم فلا عجب أن تكون تلك الكتابات في خدمتهم ومحققة ما يرجونه من متعة وفائدة.

وعند استعراض عناوين القصص القصيرة عند الكاتب، يجد القارئ أنها واضحة الدلالة والمفردات، فلم يورد الكاتب مفردات غريبة، أو غير مفهومة أو حوشية، أو نابية، بل إنه اختار العنوانات التي تزيد من جمال النص وجاذبيته.

إذًا، فجلّ مفردات الكاتب في عناوينه جاءت من صميم ما كان متداولًا في مجتمعه، فليس للغريب الغامض وجود، وإن وردت كلمة غريبة أوضح الكاتب معناها، كما في القصة التي تحمل عنوان: (آبار البحيث)[١]، حيث يقول في مقدمة القصة: "في أطراف قريتنا الصامتة .. كانت الحركة في أحد أطرافها الصحراوية مائجة نشيطة في معظم سحابة النهار، والتي تفضي إلى واد صغير بـ(البحيث) إذ تنتشر هناك بضعة آبار تجمّعتْ مياهها من الأمطار الموسمية...

اسم المكان – كما يبدو- أشتق من البحث عن مصادر المياه في ذلك الوادي الصغير ... "[١]".

فهو لا يدع مجالًا للقارئ في أن يبحث عن سبب التسمية، بل يضع إجابات لما قد يدور في ذهنه من تساؤلات.

وهذا منهج الكاتب فيما يورده من عنوانات، فالوضوح سمة تغشى عناوين القصص ومضامينها.

وهناك بعض من الخصائص والإلماحات التي تخص العنوان عند هذا الأديب، ستأتي لاحقًا- بإذن الله- أثناء الحديث عن وظائف العنوان وجمالياته ؛ وذلك حجبًا للتكرار وطمعًا في عدم الإسهاب.

٢- وظائفه:

للعنوان عند الكاتب – الحميدان - وظائف متعدّدة، أستطيع تلخيصها في الآتي:

أ- دلالية العنوان:

العنوان عند الحميدان لا يسبح بعيدًا عن نصه، وإنما يضيء النص ويقترب منه، كاشفًا عن بعض جوانبه.

وتلك العلاقة التبادلية بين العنوان ونصه تجعل من العنوان نصًا آخر يخدم النص الأم، فيدلّ القارئ على مجموعة من المبادئ والقيم والأخلاق بطريقة إيحائية يلمحها المتلقي للنص دون أن يشعر بمباشرتها أو التصريح بها.

فالأديب – الحميدان - يدرك تمامًا ما ينبغي أن يكون عليه العنوان؛ حيث يشحنه بجملة من الدلالات التي تدفع القارئ إلى البحث في جنبات النص عن علاقة العنوان وما يحمله من دلالات بالنصّ، فيستنطق ويحلل ويربط إلى أن يجد ضالته التي يشعر معها بمتعة القراءة واستجلاب المعاني ومدلولاتها.

إن الكاتب حين يزاوج في عناوينه بين الإفراد والجمع، والتعريف والتنكير، ويكتب العنوان الشاعري، والعنوان البديعي، والعنوان الصورة - تستشعر أن كل هذه العنوانات كُتبتْ بروح المبدع الذي يفهم قُرّاءه، ويعرف اهتماماتهم وكيفية الدخول إلى عوالمهم.

وقد ورد عدد من تلك العنوانات في سابق الصفحات من هذه الدراسة[١].

ب- الإثارة والتشويق:

الأدب مجاله الإثارة والتشويق والإمتاع، وإلا أصبح قاعدة رياضية بحتة، وهل يبحث القراء إلا عن تلك الإثارة؟!

العنونة عند الأديب الحميدان لا تنفك عن كونها مثيرة محرّضة مشوّقة؛ فالعنوان - في نظري - هو كالطُعم الذي يعين على اصطياد القارئ، وإيقاعه في شِراك القراءة، بل هو المحرّض الأول الذي يُشْعل الفتيل في ذات المتلقي، فلا يهنأ له بال إلا عند إتمام

القراءة، بل والمبدع الحاذق هو الذي يستطيع أن يصل بالقارئ إلى وحدة الانطباع التي يريدها دون تقريرية أو مباشرة ما أن يودع قراءة السطر الأخير من القصة القصيرة.

وقد ورد في الصفحات السابقة بعض من عناوين الأديب – الحميدان - التي تحمل من الإثارة والتشويق ما تحمله.

ج- التجربة الفنية للمبدع:

من المؤكد أنّ الحديث عن العنوان، وبنائه وتركيبه، ومدى إبداع الكاتب في صياغته - يجرني إلى أن أتناول في حديثي علاقة العنوان بتجربة الكاتب – الحميدان – الفنية.

حيث لا يستطيع كائن من كان أن يفصل بين الأديب وتجربته الفنية، فهي بمثابة الظلّ الذي يلازم صاحبه يميل حيث يميل.

والحميدان - كأي أديب - يتفاعل مع ما حوله من أشياء وأشخاص وأحداث، فيحاول صياغتها في إبداعات يصبّ من خلالها تلك التجارب.

فكثير من عناوين الحميدان تصوّر الكثير من التجارب والمواقف التي أثرت به؛ سواء مواقف ذاتية، أو إنسانية عامة.

وحين صاغ الحميدان تجاربه الفنية من خلال عناوناته صاغها بكلّ صدق؛ حيث نجح في تأثيره بالمتلقي، وما ذلك إلا لأنه تفاعل مع التجربة وتأثر بها، ونجح في نقلها من خلال الصور التعبيرية الكاشفة؛ سواء من الألفاظ أو العبارات، أو الصور، أو الأخيلة، أو موسيقا الحروف التي تتسق مع طبيعة العنوان.

والحميدان كان يعايش أفراد مجتمعه ويصوّر هذا التفاعل، فمعظم عنوانات الكاتب مخاضًا لتجارب إنسانية عايشها وتفاعل معها، أو نُقلت إليه فأثرت فيه.

وليس غريبا أن يبدع كاتب تأثر بما يدور حوله من مواقف وأحداث، ويجيد نقلها من خلال عتبات نصوصه-العنوانات- فنجد أن العنوان يأخذ بيد القارئ ليخوض في غمار النص، ويعيش في أجوائه طامعًا بالفائدة والمتعة والإثارة.

ومن أبرز الركائز التي أعانت الأديب – الحميدان - على الإبداع في نقل تجاربه الفنية، هي الصور والأخيلة الفنية التي جسّدت المعاني، وألبست العنوانات أوشحة جمالية زادت من بهائها وحيويتها.

ومن أمثلة تلك العنوانات ما يلي:

(مخاض دمعة)[١]، (الحذاء السعيد)[٢]، (منزلق الوهم)[٣]، ... وغيرها من العناوين التي صوّرت فجسّدت المعنى.

٣- جمالياته:

للعنوان عند الحميدان جمالياته الخاصة، والتي يتمثل أبرزها في الآتي:

أ- الغرابة:

الناس مغرمون بالغريب، وبخاصة عندما تمتزج الغرابة بالبلاغة، فتعطي النص طابعًا غرائبيًا.

وقد كان الأديب الحميدان يعي ذلك جيدا؛ حيث بعض العناوين الغريبة تكشف عن ذلك، وبخاصة عندما تكون هي الأخرى كاشفة عن الحالة النفسية التي يمرّ فيها الأديب.

من ذلك على سبيل المثال:

(زورق البيداء)[١]، فليس للبيداء زورقًا إلا أنه يقصد بهذا الزورق العربة التي كانت تقلّ ركابها من الشيوخ والنساء عبر الفيافي.

(حصان إبليس)[٢]، (اللص في قبضة الوهم)[٣]، (الحنش لا يحرس الكنز)[٤]... وغيرها من العنوانات التي توشّحتْ بالغرابة التي تجذب القارئ وتثير فيه رغبة الغوص في أسبار القصص.

والغرابة في بناء العنوان مَهَمة كتابية لا يجيدها إلا من كان جريئًا في كتاباته، غير آبه بما قد يقوله النقاد عن عنوانات تحمل في جعبتها الكثير من الغرابة.

ب- العنوان يخفي أكثر مما يظهر:

يكون العنوان أجمل حين يضمر في خفاياه الكثير من الدلائل التي تدفع بالقارئ إلى الغوص في بحار النص، وإعادة صياغتها في فكره وعقله.

والعنوان اللمّاح ذكاء من الكاتب ويتطلب ذكاء من القارئ؛ ليستمتع أثناء قراءته بما توحيه إليه عبارات النص؛ ولو جاء العنوان كاشفًا للنص ومعريًا له لنفر القارئ منه، ولما شحذ فهمه وعقله لاستكشاف خباياه.

وأمثلة ذلك عند الكاتب – الحميدان - كثيرة، لعلّي أورد الآن بعضًا من هذه العنوانات التي تزينت بهذه الجمالية الدلالية للعنوان:

ففي قصة (منزلق الوهم)[١]، جاء العنوان الاسمي لمّاحا غير كاشف لحال تلك الزوجة المسكينة التي عاشت وهمًا كاد ينهي حياتها الزوجية.

عند قراءة هذا العنوان يتبادر إلى الذهن الكثير من الأحداث التي من الممكن أن تكون مناسبة له.

ولكن جاءت قصة هذه الزوجة لتكشف للقارئ أيّ منزلق يتحدّث عنه الأديب.

وهناك قصة عنون لها الكاتب بـ (الأيام)[٢] دون أن يكشف هذا العنوان عن أيّ حدث من أحداث القصة أو أيّ من دلالاتها؛ فذهن القارئ يدور حول الكثير من التكهنات، وماذا يُقصد بهذا العنوان، وإلى أين سيذهب به ؟! ما بها الأيام؟! ما الذي حدث ودفع بالكاتب إلى هذه القصة؟! هل الأيام كانت عونًا وسندًا؟! ... وغيرها من التوقعات التي تستحوذ على ذهن القارئ منذ الوهلة الأولى لقراءة هذا العنوان الاسمي العام.

وهذا عنوان آخر (الشهيد والجلّاد)[١]، والقصة تحتوي على تصوير مأساوي لمقتل الطفل الفلسطيني محمد الدّرة، الذي امتدت إليه يد الصهاينة وقتلته ظلمًا وجورًا.

ومع ذلك فإن عنوانات الكاتب لا تخلو من العنونة التي تكشف عن جوانب كثيرة من المحتوى، فعلى سبيل المثال:

(مداعبة ثقيلة)[٢]، وهي عبارة عن قصة تحكي عن مداعبة كادت أن تودي بحياة أبرياء.

أيضا في قصة (المخبأ)[٣]، فمن عايش أيام الأزمة الخليجية وأحداث الحرب فيها عام ١٩٩٠-١٩٩١م، يعلم بأنّ المقصود بالمخبأ هنا هو المكان أو الغرفة الآمنة التي يلوذ بها الأفراد عند سماع صافرات الإندار، حيث تكون مهيأة وآمنة ومزودة بالأكل والشرب وإغلاق منافذ الهواء القادم من الخارج، بحيث لا يبرح الأشخاص هذه الغرفة إلا عند إعلان صافرة زوال الخطر.

فعنونة النصوص الأدبية في بنائها وإلماحاتها تمتاح طبيعتها من طبيعة الأدب المرنة والفضفاضة التي لا تحدّها حدود أو تقيّدها قيود، فالكاتب الحاذق مَن يزاوج بين طبيعة الأدب المتمددة وموهبته الأدبية العصيّة التي تأبى القيود ولا ترضى إلا بأن تقدّم فنًّا له السمات والخصائص التي من خلالها يعرف القارئ كاتبه، وهنا تبقى الكتابة شفرة يعرف من خلالها القراء كُتّابهم.

- **إضاءاتٌ حول العناوين عند الكاتب:**

١- قصص التأمل من القصص التي يلائمها العنوان الاسمي، مثل:(الوجه الأبنوسي)[١]، فالقصة هنا تمثل بركانًا داخليًا يثور في حنايا الكاتب، إلا أنه يخرجه لنا عبر هذه الأسطر بكلمات هادئة وعبارات أبعد ما تكون عن الصخب.

كذلك جاء عنوان (الزائفون)[٢]عندما جاءت القصة تجسّد تلك الوقفات التأملية الدقيقة.

٢- في قصة (أمينة)[٣] أحداث متصاعدة ومتتالية، تنتهي بموت الحاج "سلطان"، وكذلك قصة : (عروس القرية)[٤]أرى – شخصيا - أنه في مثل هذه القصص ذات الأحداث المتنامية يجب أن يكون العنوان عنوانًا فعليًا؛ لكي يوحي للقارئ - من البداية - بأن هذه القصة ذات أحداث وتطورات ستشدّه لمتابعة أحداثها.

٣- الحسّ الفني لدى الكاتب – الحميدان - يظهر حين يأتي بعنوان مكوّن من مضاف ومضاف إليه، كـ (مخاض دمعةٍ)[٥]، فالكاتب هنا يسترسل في ثنايا القصة ثم يعود بالقارئ لجو القصة مرة أخرى.

ولا شكّ أن تلك النقلات الجمالية إبداع في بناء العنوان، وموهبة يستشفها القراء من خلال الغوص في دهاليز القصة ثم الربط بينها وبين مناسبة العنوان لها.

٤- قد يأتي الكاتب – الحميدان – بالعنوان، ولكنه يكون بعيدًا عن كنه القصة، مثل: (رجل المهمات)[١]، فالقصة هنا تحكي حرمان هذا الرجل من الأطفال، في حين أن العنوان يوحي بأن هناك مَنْ قام بمهمات وأعمال لا يستطيعها أحد غيره!

٥- لا يتوانى الأديب الحميدان عن أن يجعل عنوان قصته اسمًا لأكلة إذا أحسّ بأنّ هذا العنوان يناسب القصة ومدلولها، مثل: (الغبيبة)[٢]، وهي أكلة لعلّ المترفين هم من كانوا يأكلونها آنذاك.

٦- كما أنّ الحميدان قد يجيء بالعنوان جزءًا من دعاء، كما في: (شياطين الجن)[٣]، فالعنوان هنا هو جزء من دعاء جدته، في أن يحفظهم الله من شياطين الجن والإنس.

هذه أبرز الإضاءات حول عنوانات الأديب – الحميدان -، وعندما أقول بأنّ أبرز سمة لاحظتها لدى الكاتب - وبدون مبالغة - عمق تأثره بالبيئة البحرية؛ فالبحر والموج يَردَان مرارًا وتكرارًا، فقد تشبعتْ روحه وكتاباته بمفردات أهل السواحل، فبين الفينة والأخرى يأتي بمفردات قد لا ترى إلا فيمن عشق بيئة البحار، وبات متيّما بها.

وهذا ليس غريبًا فالمرء لا يستطيع الفكاك عن بيئته وما تمليه عليه طبيعتها وتضاريسها، بل إنّ هذا يمثّل جزءًا من تكوين الإنسان وصبغته الخاصة به، والتي تميّزه عن غيره من سكان المناطق ذات التضاريس المغايرة، فسكان المناطق الصحراوية تختلف طبائعهم عن سكان المناطق الجبلية، وهكذا.

وطبيعة المرء تتكشف جليّة واضحة - شاء أم لم يشأ - من خلال كتاباته التي يبعثها لقرائه، فهي تخرج من جعبته وقد تصبّغتْ بطبيعة البيئة التي يعيش فيها.

وفي رأيي أن طبائع الكتّاب تزداد انثيالًا أمام القراء كلما كان الكاتب قريبا من قرائه، واقعيًا، لا يميل للتكلف أو الغموض.

الخاتمة

١- نتائج البحث:

لقد كتب الله - تعالى - لهذا البحث أن ينتهي بهذه الصورة التي هو عليها، وأسأله - عزّ وجلّ - أن يطرح فيه الفائدة لكلّ من رام الدراسة والبحث في الأدب السعودي.

وبعد تلك الرحلة الماتعة في قصص الأديب الحميدان، التي كشفت الكثير من جوانب شخصيته وصادق عواطفه، وكريم اهتماماته ومشاعره - أستطيع أن أخرج بجملة من النتائج التي توصلت إليها بعد هذا الدرس والبحث في عنوانات الأديب ونصوصه؛ أذكر أهمها في التالي:

١- لم يخرج الكاتب عن مبادئ دينه وركائزه، كما أنه يحترم عادات وتقاليد مجتمعه.

٢- ما قدّمه الكاتب يعد سجلًا تاريخيًا لكثير من الأحداث والعادات والتقاليد السعودية في زمنه.

٣- من خلال نصوص – الحميدان - يتضح للباحث قربه من مجتمعه، ويستطيع لمس العلاقة الوثيقة التي تربط الأديب بمن حوله بدون استثناء.

٤- يحرص الكاتب كثيرًا على التعبير عن هموم أبناء وبنات مجتمعه، فهدفه التقويم السلوكي، ومعالجة الكثير من المشاكل الاجتماعية، بعيدًا عن همومه الذاتية ومشاكله الخاصة.

٥- عدم ميل الكاتب للرمزية، بل يبدو – جليًا وواضحًا - حرصه على وضوح الفكرة، والعمل على جلائها وإزالة الضبابية عن الدلالات التي يقصدها من خلال كتاباته.

٦- البعد عن التكلف البديعي أعطى كتاباته الكثير من ميل القراء إليها، والحرص على متابعتها؛ فقد جاءت مناسبة لطبيعة مجتمع يعيش تقدمًا سريعًا من الناحية التقنية والاقتصادية.

٧- مهما كانت حماسة الكاتب لموضوعه، إلا أنّ عنواناته في عمومها تميل لروح الهدوء والتأمل.

٨- إنّ أكثر ما يتجلّى – أمامنا - صدق عاطفة الكاتب؛ وهذا ما يجعل القارئ لا يستطيع التوقف عن القراءة إلا بعد انتهاء القصة، التي برع الكاتب في اختيار عنوان جذّاب لها.

٢- توصيات واقتراحات:

١- أهيب بدارسي الأدب والنقد العربي، وبخاصة من هم من أبناء هذه البلد الطيبة المباركة - أن يبرزوا أدب هذه البلاد وأن يلمّوا شتاته، فلا يزال الكثير منه إما في المكتبات الخاصة، أو حبيس الرفوف في مخازن الصحف والمجلات الدورية.

٢- أن توفّر المكتبات التابعة للجامعات الكبرى والتي تحتوي كليات للغات والترجمة لِجَانًا تتولى ترجمة القيّم من البحوث التي تخصصت في الأدب السعودي لإظهار الصورة المشرّفة لهذا الأدب.

٣- توصي هذه الدراسة بأهمية التوسّع في دراسة العنونة في الأدب السعودي؛ لما لهذا النوع من الدراسة من أبعاد بحثية ودلالية.

ثمّ إني أتقدّم بالشكر الجزيل لله – تعالى -، ثم لكل من مدّ لي يد العون لإتمام هذا البحث واكتماله على هذه الصورة.

فحقهم عليّ الدعاء لهم.. وأصلي وأسلم على أشرف خلق الله؛ نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين، والحمد لله خالق الأولين والآخرين.

Abstract

A study in the title of Ibrahim Al-Humaidan

BY Nada bint Saleh bin Ali Aba Al-Khail

This research is aimed at analyzing the Saudi writer Ibrahim Al-Humaidan's titles as used in his story collection. This analysis study is considered an important research addition to the field of title analysis for prose-based literary texts.

The research sheds light on the definition of title, its types and functions, how to choose a title, and how a title relates to a text.

The research tackles various topics representing its main structure, including the title which have been discussed in terms of structure, formulation, significance, revival and development. The research also explores conventional and unconventional uses of titles, the connection between the title and the text, and the heritage manifestation in the title. Finally, the study tackles the nature of the title as well as its functions and aesthetic values in Ibrahim Al-Humaidan's works.

Key words:

Short story, title, Ibrahim Al-Humaidan

الهوامش

(١) معجم الأدباء والكتّاب العرب، ط١، الدائرة للإعلام المحدودة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ص: ٩٤.

(٢) مجلد الأعمال القصصية الكاملة: أمهاتنا والنضال وأعمال قصصية أخرى، لإبراهيم الناصر الحميدان، ط١، الرياض، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخران، ج: ٤، دار المعارف، د.ت، مادة: عنن، ص: ٣١٤٢.

(٤) القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط: ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، شارع سوريا، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، مادة: عنن، ص: ١٥٧٠.

(٥) العنوان في الأدب العربي النشأة والتطور، محمد عويس، ط١، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٨م، ص: ١٧.

(٦) سيمياء العنوان، بسام موسى قطّوس، ط١، وزارة الثقافة، عمّان، الأردن، ٢٠٠١م، ص: ٣١.

(٧) هوية العنونة في الشعر السعودي المعاصر، عماد علي الخطيب، ط١، الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ٢٠١٤م، ص: ١٥٨- ١٥٩.

(٨) معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، د. سعيد علوش، ط١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، شوسبريس، الدار البيضاء، المغرب، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م، ص: ١٥٥.

(٩) سيمياء العنوان، د. بسّام طقوس، ص: ٥٠.

(١٠) العنوان والاستهلال في مواقف النفري، د. عامر جميل شامي الراشدي، ط١، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ٢٠١٢م/ ١٤٣٣هـ، ص: ٣٢.

(١١) العنوان في الرواية العربية، عبد المالك أشهبون، ط١، النايا للدراسات والنشر والتوزيع- محاكاة للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ٢٠١١م، ص: ٥٠.

(١٢) العنوان وسميوطيقا الاتصال الأدبي، د. محمد فكري الجزار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م، ص: ٢٣.

(١٣) المرجع السابق، ص: ٢٣.

(١٤) العنوان في الأدب العربي، محمد عويس، ص: ٣٥.

(١٥) السابق، ص: ٣٥.

(١٦) مجلد الأعمال القصصية، الحميدان، ص: ٤٧.

(١٧) السابق، ص: ٦٧.

(١٨) السابق، ص: ١٥٩.

(١٩) السابق، ص: ٢٣٥.

(٢٠) السابق، ص: ٢٦٥.

(٢١) السابق، ص: ٣٢٥.

(٢٢) السابق، ص: ٣٨٣.

(٢٣) السابق، ص: ٤١٣.

(٢٤) السابق، ص: ٤٦١.

(٢٥) السابق، ص: ٥٣٧.

(٢٦) السابق، ص: ٥٤٩.

(٢٧) السابق، ص: ٦٢٧.
(٢٨) السابق، ص: ٤٣٥.
(٢٩) مجلد الأعمال القصصية، الحميدان، ص: ٩١.
(٣٠) السابق، ص: ٤١٧.
(٣١) السابق، ص: ٤٧٧.
(٣٢) السابق، ص: ٥١٣.
(٣٣) السابق، ص: ٥٣٣.
(٣٤) السابق، ص: ٥٧١.
(٣٥) السابق، ص: ٦٢١.
(٣٦) السابق، ص: ٢٢١.
(٣٧) السابق، ص: ٥١٥.
(٣٨) السابق، ص: ٦٢٣.
(٣٩) السابق، ص: ٥٥٩.
(٤٠) السابق، ص: ٥٥٩، وص: ٥٦١.
(٤١) ص: ٣٠ و٣١.
(٤٢) السابق، ص: ٩٩.
(٤٣) السابق، ص: ٧٣.
(٤٤) السابق، ص: ٣٧.
(٤٥) السابق، ص: ٣٠٣.
(٤٦) السابق، ص: ٣٣٥.
(٤٧) السابق، ص: ٥١٣.
(٤٨) السابق، ص: ٤٧٧.
(٤٩) السابق، ص: ٣٧.
(٥٠) السابق، ص: ٤٠٩.
(٥١) السابق، ص: ٥٨٣.
(٥٢) السابق، ص: ٤٠٥.
(٥٣) السابق، ص: ٤٥٧.
(٥٤) السابق، ص: ٣١.
(٥٥) السابق، ص: ٥٣.
(٥٦) السابق، ص: ٨٣.
(٥٧) السابق، ص: ١٤٩.
(٥٨) السابق، ص: ٩٩.
(٥٩) السابق، ص: ٥٦٣.
(٦٠) السابق، ص: ٥٩١.
(٦١) السابق، ص: ٥٩٣.

أ- فهرس المصادر والمراجع

١- سيمياء العنوان، بسام موسى قطّوس، ط١، وزارة الثقافة، عمّان، الأردن، ٢٠٠١م.
٢- العنوان في الأدب العربي النشأة والتطور، محمد عويس، ط١، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٨م.
٣- العنوان في الرواية العربية، عبد المالك أشهبون، ط١، النايا للدراسات والنشر والتوزيع- محاكاة للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ٢٠١١م.
٤- العنوان والاستهلال في مواقف النفري، د. عامر جميل شامي الراشدي، ط١، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ٢٠١٢م/ ١٤٣٣هـ.
٥- العنوان وسميوطيقا الاتصال الأدبي، د. محمد فكري الجزار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م.
٦- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط: ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، شارع سوريا، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، مادة: عنن.
٧- لسان العرب، ابن منظور، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخران، ج: ٤، دار المعارف، د.ت، مادة: عنن.
٨- مجلد الأعمال القصصية الكاملة: أمهاتنا والنضال وأعمال قصصية أخرى، لإبراهيم الناصر الحميدان، ط١، الرياض، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
٩- معجم الأدباء والكتاب العرب، ط١، الدائرة للإعلام المحدودة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
١٠- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، د.سعيد علوش، ط١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، شوسبريس، الدار البيضاء، المغرب، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.
١١- هوية العنونة في الشعر السعودي المعاصر، عماد علي الخطيب، ط١، الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ٢٠١٤م.